

عندما يفقد المثقف دوره ويصبح عميلاً لأجهزة الأمن



أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي
مصري

ماذا سيكون موقفك عندما تكتشف أن "صديقك" الذي كنت تتعامل معه منذ سنوات في الحقل الثقافي والأدبي، صديقك وزميلك الناقد والكاتب والمؤلف الذي يتبوء منصباً حكومياً ويسعى للصعود الوظيفي وقد يصل في وقت من الأوقات، إلى أن يصبح مرشحاً لمنصب الوزير، هو في الحقيقة كاتب تقارير بوليسية، قضى عمره الوظيفي يكتب التقارير على زملائه، ولاؤه الأول ليس لجماعة المثقفين بل للبوليس السياسي الذي يتخذ اليوم تسميات أخرى كثيرة لا تنفي طابعه القديم الذي كان أكثر وضوحاً ومباشرة. هذا المثقف أصبح بعد أن كبر، يملك أيضاً أن يمنح الكثير من المكاسب الصغيرة لصغار المثقفين، بفضل صلاته الوثيقة بأجهزة الأمن، وبعد أن ترمس في كتابة التقارير البوليسية التي ينقل من خلالها يوماً بيوم، كل ما يقال في مكتبه الذي يجتمع فيه الكثيرون من شتى النخب والفئات الثقافية، وبعد أن أصبحت الفترة تزدهم بالكثير من اللغط والترقب والصراع الشرس من أجل "الوصول" إلى الغايات الصغيرة عن طريق أقصر الطرق وأكثرها حقارة.

المثقف المحترم الذي يظهر على شاشة التلفزيون يتحدث ويلوك الكلمات ويفتي في ما يعرف وما لا يعرف، فتتاح له فرصة الكتابة في الصحف، والعمل في الإعداد التلفزيوني لعدة برامج، يصعد نجمه بسرعة ليتحول من مجرد موظف صغير بائس في إدارة من الإدارات الحكومية براتب متواضع، إلى رئاسة الهيئة أو المؤسسة التي يعمل لها، يخلق باه في وجه أصدقائه القدامى لأنهم -حسب تصورهم- يمكن أن يجلبوا له المشاكل مجرد وجودهم معه بسبب ما يتكلمون فيه من مواضيع وتسبب القلق، وقد تتصنّف أحاديثهم أيضاً بعض الانتقادات، لا سمح الله، وهو ما لن يرضي السادة الذين يرفعهم إليهم تقاريرهم.

أما أصدقائه القدامى فهم موهومون بأن "صاحبهم" القديم لا يزال كما عهدوه في بداية تعرفهم عليه قبل أن يدخل طواعية، تسوقه شهوته، في شراك اللعبة الكبرى، لعبة السلطة. هل يظل هذا الشخص في نظرك صديقاً؟ وهل ستظل تعتبره مثقفاً ربيعاً تكتب حضرته عنه بتقدير واحترام وحب وتغزل في جمال كتاباته وكتبه التي غالباً كتبتها له غيره، ثم تترحم عليه بعد أن يتوفاه الله، وتعتبره مفكراً عظيماً ساهم في رفعة الثقافة وإنقاذ الفن من عفرته عن طريق تدخلاته لدى جهات الأمن؟ قلائل للغاية هم من يقولون الحقيقة ويرفضون الوقوف في صف المهزجين والانتهازيين، الذين يعرفون حقيقة هذا الذي كان صديقاً، لكنهم يدارون ويتظاهرون بأنهم لا يعرفون، وبأن الرجل في الحقيقة، كان يقدم خدمة للثقافة عن طريق كتابة التقارير، حتى لو أصابت بعض أصدقائه بالأذى وحرمتهم من العمل ودفعتهم للفرار خارج البلاد بسبب التضييق عليهم، ثم لا بد أنه سيصبح بعد وفاته

في نظر هؤلاء، قديساً يجب أن تغفر له جميع خطاياها، عملاً بالحديث غير الثابت، الذي يطالبنا بذكر محاسن موتانا، وترجمته الحرفية أن ننسى ونتجاوز ونغفر ولا نذكر السيئات مهما عظمت ومهما تسببت في الأذى والشرف. ما يحدث على أرض الواقع أنك إذا ذكرت الحقيقة ستصبح ناقماً كارهاً نافرماً عنيفاً.. وتلتصق بك كل الصفات الشريفة. أما إذا انضممت إلى جوقة المنافقين وأعدت على "المرحوم" من الصفات ما لا يملك منها شيئاً سوى أنه كان يتوَدّد إلى الجميع بابتسامته الخبيثة، يرحب بهم في مكتبه، لكي يحصل منهم على ما يريد من معلومات، فسيعتبرونك شخصاً مخلصاً جميلاً يمكن أن تشاركهم جلسات النسيئة.

صاحبك هذا كان يتوَدّد الزائف ونفاقه للصحافيين بوجه خاص وحرصه على الإغداق عليهم، يريد أن يصنع لنفسه جوقة من المطّبين والمنشدين والمصفقين، يستخدمهم وقت اللزوم ضد خصومه، في حين أنه عندما يقابل خصومه يتبسم ابتسامته الخبيثة المصطنعة، ويبادريهم بالسلام والتحية كما لو كانوا من أعزّ أصدقائه.



المثقف يسقط عندما يتخلى عن مهمته الرئيسية، في كشف الحقيقة والدفاع عن الحرية في كل العصور، مهما كان الثمن الذي يمكن أن يدفعه

وهو بحكم منصبه الوظيفي، يملك القدرة على تقريب هذا واستيعاده ذلك، يغدق على البعض بكرم وساء طاماً يرتضون أن يصبحوا تابعين له، وربما يجد منهم من يعاونه في كتابة تقاريره والشاوية بمن يجب الشاوية به، لأنه "خطر" على المؤسسة حسب تصنيفات الأجهزة التي تعمل في خدمة منظومة تخلت حتى عن سياسة العصا والجزرة، بعد أن أصبحت تلوح وتضرب فقط بالعصا الغليظة. نموذج هذا المثقف ظهر كنتيجة طبيعية لغياب الحريات وانتهاك القانون وسياسة تشغيل الموالبين وتفضيل أهل الثقة على أهل الخبرة، لكن لا شك أن سبباً أساسياً من أسباب ظهوره وبقائه، يرجع أيضاً إلى تقاسم النخبة المثقفة عن القيام بدورها في رفض التعامل مع هؤلاء والانتطاح أمامهم، بعد أن ارتضت الكثير من عناصرها التطوع في خدمة "الأجهزة" بهدف الترفي، فالمثقف يسقط عندما يبدأ سعيه المحموم نحو المنصب، والسلطة لن تسرح له سوى بهامس محدود يعمل من خلاله في خدمتها وطبقاً لشروطها، ولكن طموحه أيضاً لا يتجاوز أكثر من ذلك، فهو أمام أتباعه أسد جسور، وأمام رؤسائه تابع ذليل.

والمثقف يسقط عندما يتخلى عن مهمته الرئيسية، في كشف الحقيقة والدفاع عن الحرية في كل العصور، مهما كان الثمن الذي يمكن أن يدفعه.



فيلم «البريء» عن مفاصل السلطة في تلاعبها بالمثقف



الجرح حي، لكن الشعور به تجلد

الحرب اللبنانية وأثارها على البيئة والناس في معرض تجهيزي

«عدّ النجوم، عدّ البشر» حالة حضرت بمرارة في أعمال ندى صحنائي

وعلقت الفنانة اللبنانية ندى صحنائي في معرضها جنباً إلى جنب و"كزرت" تعليقاً الجسومات الكثيرة: دوليب سيارات وعوادم سيارات مُحطمة وخزانات وقود واشكمانات على جدران الصالة بعد أن سجّتها تحت طلاء أبيض أحالها إلى أيقونات حيّة. فالجرح حي، لكن الشعور به قد تجلد.

أما أولياء الحرب اللبنانية فما زالوا حاضرين بهاماتهم الفنتة خلف الأعمال الفنية مع اختلاف بسيط: هم ذاتهم، ولكن قد اشتعل الشيب في رؤوسهم كما كتسح الطلاء الأبيض سواد الكوتشوك الملوّث وصدا الآلات الملوثة.

الأفطع من كل ذلك أن السؤال الذي بدأ أن الفنانة تطرحه في معرضها عبر عنوان "كم، وكم بعد" هو سؤال مُجاب عليه مسبقاً، مُجاب عليه في اللوائح/ اللوحات الشعائرية الكبيرة التي وثقت كالتدوين المرتعشة تعداد الأيام القاهرة التي توفقت عن التزايد أو التناقص في أوائل التسعينات من القرن الفائت. توقفت ولكن كما تتوقف الساعات لإعلان حالة التكرار السقيمة إلى أجل غير مُسمى. وكانت في المعرض سيدة للأعمال الفنية جميعها: لوحة/ لائحة مشغولة بشكل طاع بالأسود والأبيض، لوحة تجسد "تعداداً" لأيام كمثل لوحات أخرى في المعرض، لكن ما ميز هذه اللوحة عن غيرها أن صفيحاً كاملاً قد اجتاحتها جاعلاً الأيام المعبودات أياماً كسادة وتالفة لم تعد تعني لأحد شيئاً بعد تنالي الكوارث في لبنان والمنطقة العربية ككل. لوحة مُسخت فيها أيام الحرب أقراماً ضئيلة هي بأشكال قطع من قش نجا من الطوفان، فقط، ليؤكد على حدوثه.

وأمام هذه اللوحة تفاجئ الزائر بنفسه وهو يبدن بتهمك غريب مقطع من أغنية وردة الجزائرية "عدّ النجوم، عدّ البشر، روح وتعالا تلاقيني هنا، تلاقيني أنا...". إنه الموت العابر.. الموت العادي جدا.

المتعددة: البيئية والاجتماعية والأمنية والسياسية والنفسية، حيث لم تظهر في المعرض نتائج الحرب أو غياب الذاكرة الجماعية بقدر ما ظهرت إرهافات الحرب وخوارقها. والخارق فيها على الأرجح تمحور تفصيلاً حول تلك الاستثمارية المقيمة للحرب التي تخضت الأربعين عاماً، وهي تتحضر للمزيد من السنوات مع اشتغال المنطقة بازمانات خائفة وتحولات عظيمة اعتاد لبنان أن يكون دائماً جزءاً منها، ولاسيما جزءاً من كوارثها وليس أفرانها.

مجسمات كئيبة

أشارت الفنانة اللبنانية إلى تلك المعايير والإفكار باستخدامها للون الأحمر الذي لم يهدر طاقته الزمن، وباستخدامها لمجسمات كثيرة علقها على جدران الصالة لخزانات وقود وأشكمانات سيارات ملوثة للبيئة.

المعرض نص مفهومي

«بارد» تعبر فضاء بضعة غيوم غنائية ماطرة اعتادت على أن تهطل بخبيثاتها دون أن تتبلل به

ومن ناحية ثانية: يشعر زائر المعرض، لاسيما إن كان هو أيضاً من جيل الحرب، أن الفنانة أخذت بيده من جديد إلى الساحة القاتمة التي دمرت جزءاً من حياته ليس لتذكره بها أو بانارها المكتملة في حياته اليومية، بل لكي تؤكد له و"يدم بارد" أن ما كان "حرباً" لا يزال مستمرًا ويتفنن الآن في إعادة صناعة ذاته بأشكال وحوش جديدة هي أزمان: التلوث والفساد والكهرباء والماء والأمن وغيرها.

أطلقت الفنانة اللبنانية متعددة الوسائط ندى صحنائي عنوان "كم، وكم بعد" على معرضها الأخير الذي أقامته في صالة "تأنيث" البيروتية. والعنوان يُشير إلى عدد السنوات من ناحية، وعدد الضحايا من ناحية ثانية التي يجب على اللبناني أن ينتظرها ويقدمها حتى يحل السلام الحقيقي الذي لا سبيل إليه دون مواجهة الذاكرة الجماعية والفردية على السواء، الذاكرة التي استفاضت الكتابات التحليلية عن غيابها وتكميم فاهها، وخاصة من قبل أولياء أمور الحرب اللبنانية وفصولها.

ليست هي المرة الأولى التي تناولت فيها الفنانة اللبنانية ندى صحنائي موضوع الحرب اللبنانية وإن تكون على الأرجح الأخيرة، فلدى جيل الحرب اللبنانية فيض من الأفكار والمشاعر التي لا تتنضب ومحورها الحرب بكل ما تعني هذه الكلمة من مناقات شخصية وأحوال عامة، وتحولات لا يغيب عنها أي أسلوب من أساليب التعبير الفني وصولاً إلى الديجيتالية البحتة.

ومعلوم أن بعض الفنانين التشكيليين اللبنانيين الذين لا ينتمون إلى جيل الحرب عالجوا بدورهم موضوع الحرب، وهؤلاء ينتمون، إذا صح التعبير، إلى مجموعة صور فوتوغرافية ونكريات منقولة أعادوا إحيائها ملقحة بخيال مهيب.

في المقابل، يبقى نص فناني جيل الحرب اللبنانية أكثر بلاغة وتنوعاً، ونص ندى صحنائي الفني هو واحد من أهم تلك النصوص الفنية، فهو يملك طابع الجرح الطازج مع طمس الوجود المباشر الناتج عنه.

وربما لأجل ذلك جاء معرضها الأخير تأكيداً على هذه القدرة الذهنية لدى فناني جيل الحرب في صياغة نص مفهومي "بارد" تعبر فضاء بضعة غيوم غنائية ماطرة اعتادت على أن تهطل بخبيثاتها دون أن تتبلل بها.

ونمة ظاهرتين برزتا بشدة في معرض الفنانة اللبنانية المخضرمة، وكادا أن يؤلفا نقلة نوعية في مسارها الفني. الظاهرة الأولى: تمحورت حول تصميمها لمعرض فني سردي وبإصرار استثمارية الحرب في لبنان وبوجوهها



ميموزا الراوي
ناقدة لبنانية

بيروت - ضم المعرض الأخير للفنانة اللبنانية متعددة الوسائط ندى صحنائي لوحات كبيرة الحجم معلقة على جدران صالة "تأنيث" البيروتية الشاهقة ذات الثلاث قاعات المنفتحة على بعضها.

وحوش جديدة

لوحات ندى صحنائي مشغولة بمواد مختلفة كالإبريك والباستيل والفحم وأقلام الطباشير دخلت إلى بعضها مقطّعات من صور فوتوغرافية وكتابات وإشارات أفقية وعمودية مقتضبة ذكرت بكتابات مبهمة بخط يد سجناء يعنون أيامهم نقشا أو حفرا على الجدران. وإضافة إلى ذلك وظفت صحنائي في أعمالها المعنونة بـ"كم، وكم بعد" كتابات لعناوين وصحف متفرقة بعضها غير مقروء. كما شمل المعرض أشياء من قبيل ساعات ومجسمات وعرضاً لشريط فيديو ذكر بما قدمته الفنانة سابقاً من أعمال تجهيزية تدور حول الحرب اللبنانية وأثارها.

كما عثر زائر الصالة على غزارة في العناصر الموظفة رمزياً في المعرض كخزانات الوقود ودوليب السيارات، لتكتف ما أزدت الفنانة التعبير عنه، وهو كما تقول "نداء للمصالحة والتصالح.. المعرض هو قصيدة للبنان البلد المشظن والمغتال".

مسرحية «على سبيل المثال» تجوب المغرب

كما طبع العمل المسرحي مشاهد فنية وفكاهية متميزة تجاوب معها الجمهور في فترات مختلفة من العرض المسرحي. وحملت مسرحية «على سبيل المثال» نهاية الأسبوع الماضي بإقليم بولمان، ثم مدينة فاس، وستعرض وسط هذا الأسبوع بإقليم إفران، وسيتم عرضها بمدن ومناطق مغربية أخرى لاحقاً.

المثال» فيختار زوجته للعب دور البطولة فيه. وتعالج المسرحية مجموعة من القضايا الإنسانية المجتمعية الآتية بطابع كوميدي ورسائل نقدية ساخرة لعدد من المظاهر والظواهر المنتشرة في المجتمع أو أحداثاً ما زالت قيد النقاش لدى الرأي العام، في محاولة لتقديم بعض الاقتراحات والبدائل لتفادي تكرارها،

سياقي، وقام بتأليفها الفنان محمد الجم، وأخرجها أسد رؤاد المسرح المغربي الفنان محمد حدي. وقد تفاعل جمهور مدينة فاس، مع هذا العرض الذي يحكي تجربة زوجين، رجاء وحמיד، مع الإبداع المسرحي، وفي لحظة ما يتمكن الزوج من الحصول على دعم لعملة المسرحي "على سبيل

فاس (المغرب) - كان جمهور العاصمة العلمية للمغرب، فاس، الأحد، على موعد مع العرض المسرحي «على سبيل المثال»، لجمعية إفرمان بشراكة مع المسرح الوطني محمد الخامس، وبدعم من مجلس جهة فاس مكناس. وشخص أدوار البطولة في مسرحية «على سبيل المثال» فاطمة الزهراء أحرار وأمين